

رحيل الباحث الأب كميل حشيمه (١٩٣٣-٢٠١٥)

عبدالله حجار*



وردت أنباء من بيروت بوفاة الباحث والمفكر والمربي الكبير الأب كميل حشيمه اليسوعي الذي عرفته حلب كاهناً غيوراً ومرشداً اجتماعياً ومدرباً جامعياً لامعاً، ما خلف الأسى لفقدانه لدى جميع من عرفه وتواصل معه عن قرب، فترحم على روحه التي انتقلت إلى الأقدار السماوية.

ولد كميل حشيمه في ١٩٣٣/١٢/١٤ في بلدة بكفيا من جبل لبنان، وأنهى دراسته الثانوية في العام ١٩٥١ لدى اليسوعيين في بيروت، وانتسب إلى الرهبانية اليسوعية ورُسم كاهناً في ١٤ أيار ١٩٦٤، بعد أن تنقل في دراساته حول اللغة العربية وآدابها الأب كميل حشيمه

بين بيروت وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية وإنكلترا

وإيرلندا. وكان موضوع أطروحته للدكتوراه في اللغة الفرنسية عن كتاب الأب لويس شيخو: "النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية".

أدار ثانوية الرهبانية اليسوعية في محلة الجمهور قرب بيروت مدة خمس سنوات، ودرّس الترجمة والتعريب في الجامعة مدة ثماني سنوات، وتسلم إدارة عدد من الأديرة اليسوعية في بيروت ودمشق وحلب ورئاسة الرهبانية اليسوعية في سورية مدة ست سنوات، حيث كان يعمل في الحقل الروحي بخدمة الشبيبة والبالغين. تسلم إدارة "دار المشرق" للنشر في العام ١٩٨٨ وإدارة مجلة المشرق في العام ١٩٩١، وظلّ يديرهما حتى نهاية العام ٢٠٠٨ حيث تفرغ لمتابعة البحث والكتابة في الموضوعات التي كرس لها حياته؛ في الأدب واللغة والتاريخ والموضوعات الدينية والتربوية التي لا تنتهي، إلى أن وافته المنية في ٣ كانون الأول ٢٠١٥ رحمه الله.

ألّف العديد من الكتب كما عرّب العديد منها عن الفرنسية والإيطالية والإنكليزية والإسبانية واللاتينية، وله حوالي ٨٠ مقالة معظمها بالعربية وبعضها بالفرنسية تضمنت أبحاثاً فكرية ودينية واجتماعية وتربوية وتاريخية وأدبية ولغوية نشر معظمها في "دار المشرق" بين العامين ١٩٧٠ و٢٠١٠.

نذكر من كتبه التي ألّفها

- الأب لويس شيخو: ما كتبه وما كتب عنه (دار المشرق، ١٩٧٨).

* باحث ومؤرخ من حلب.

- اليسوعيون والآداب العربيّة في أواخر القرن الماضي ومطلع القرن العشرين (حلب، ١٩٧٩).
- المؤلفون العرب والمسيحيون من قبل الإسلام وحتى القرن العشرين (١٠ أجزاء حتى العام ٢٠١٣).
- الترجمة بالنصوص (باللغتين العربيّة والفرنسيّة) (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٠، أعيد طبعه في جامعة حلب، ١٩٨١).
- تعابير ونصوص عربيّة وفرنسيّة لتعليم الترجمة (بالفرنسيّة) (جامعة حلب، ١٩٨١-١٩٨٢).
- رسائل متبادلة بين الشيخ إبراهيم اليازجي وقسطنطي الحمصي (دار المشرق، ١٩٨٨).
- اليسوعيون والآداب العربيّة والإسلاميّة: سير وأثار (دار المشرق، ٢٠٠٩).
- لويس شيخو: علماء النصرانيّة في الإسلام؛ حقّقه وزاد عليه وقدمه وألحقه بفهارس (المكتبة البولسيّة، جونية، ١٩٨٣).
- لويس شيخو: وزراء النصرانيّة وكتّابها في الإسلام؛ حقّقه وزاد عليه وقدمه وألحقه بفهارس (المكتبة البولسيّة، جونية، ١٩٨٧).
- شهداء يسوعيون في خدمة الشرق العربيّ ١٩٧٥-١٩٨٩ (دار المشرق، ٢٠٠٦).
- القديس إغناطيوس دو لويولا مؤسس اليسوعيين (دار المشرق، ١٩٩٠؛ طبعة ٣، ٢٠٠٩).
- مدخل إلى أسرار الكنيسة (دار المشرق، ١٩٩٠، ط٣، ٢٠٠٣).
- المسيحيّ والطلاق (دار المشرق، ١٩٩٢).
- ومن الكتب التي عربها
- جمهوريّة اشتراكيّة مسيحيّة: اليسوعيون وهنود الباراغواي، تأليف ألبرتو أرمانّي (عن الإيطاليّة) (دار المشرق، ١٩٩٠).
- مدخل إلى العقيدة المسيحيّة، تأليف توماس ميشيل اليسوعيّ (عن الإنكليزيّة) (دار المشرق، ١٩٩٣؛ ط٣، ٢٠٠٨).
- الاقتداء بالمسيح، تأليف توما الكمبيسي (عن اللاتينيّة) (دار المشرق، ٢٠٠٥).
- يسوع صديقنا ومعه نسير (عن الإسبانيّة، كتاب للتعليم المسيحيّ) (دمشق، ١٩٨٥؛ ط٥، ١٩٩٥).
- صلوات غير عاديّة، من عدّة لغات وعدد من المؤلفين (دار المشرق، ١٩٩٨؛ ط٢، ٢٠٠٣).
- ومن الكتب العربيّة عن الفرنسيّة وصدرت عن دار المشرق في بيروت
- الكنيسة السريانيّة الشرقيّة، تأليف جان موريس فييه (دار المشرق، ١٩٩٠).
- على درب الجلجلة (تأمّلات) (١٩٧٢).
- لا أؤمن بهذا الإله، تأليف خوان أرياس (١٩٨١).

- إلهنا يتألم، تأليف الأب فرانسوا فاريون اليسوعي (١٩٩٣).
- نؤمن: تأملات في قانون الرسل، تأليف هانس أورس فون بلتسار (١٩٩٥؛ ط٢، ٢٠٠٩).
- أقوال للشيوخ: حكم آباء البرية (١٩٩٦).
- بالمادة أصلي، تأليف الأب هنري بولاد اليسوعي (١٩٩٧؛ ط٢، ٢٠٠٤).
- مريم العذراء في الأدب الأرمني الوسيط، تأليف الأب جان مصريان اليسوعي (٢٠٠٦).
- وساهم مع آخرين في تأليف كتاب التربية الدينية المسيحية للدراسة الثانوية التجارية في دمشق ١٩٧٨-١٩٧٩.

- ونذكر من المقالات والدراسات المختلفة

- "من رسائل الأدباء والمستشرقين إلى الأب لويس شيخو".
 - "الأديب الشاعر قسطنطين الحمصي ومساهمته في النهضة العربية".
 - "الحوار الإسلامي - المسيحي في لبنان: محاولات عابرة أم إنجازات ثابتة".
 - "تشويه الفصحى بالعبارات الأجنبية والعامية".
 - "إلياس أبو شبكة بعد خمسين سنة على وفاته".
 - "جيران خليل جبران: كتب ومقالات تناولته بالبحث (١٩١٢ - ١٩٩٨)".
 - "رائد يسوعي في بلاد الشام: الأب بطرس فروماج (١٦٧١ - ١٧٤٠)".
 - "ترجمة عربية جديدة للعهد الجديد: نظرة نقدية".
 - "فرح أنطون (١٨٧٢ - ١٩٢٢) قبول فاعل للفكر الأوروبي".
- ومن خلال عرض مؤلفاته وما كتب، يتبين لنا الفكر الموسوعي الذي تمتع به في تنوع الموضوعات والدقة التي ميّزت أسلوبه في تعريب الكتب من مختلف اللغات التي أتقنها.

مع الذكريات

تعرفت إلى الأب كميل حشيمه فترة مكوثه في حلب في الفترة بين ١٩٦٩ و ١٩٨١ حيث كان يدرّس مادة الترجمة في جامعة حلب، وكان المرشد الروحي للشبيبة الجامعية المسيحية التي كانت تمارس نشاطها في رحاب نادي الشبيبة الكاثوليكي في العزيزية. وفي أثناء محاضرة في قاعة "مدام متيلد سالم" بمقر النادي كان الأب حشيمه يجلس في الصف الأمامي وكنت جالسا في مقعد وراءه مباشرة. ناولته ورقة صغيرة كتب عليها: أتمنى أن أقدم محاضرة بعنوان "عطاء سوروية الحضاري" مرفقة بالشرائح المصوّرة في موعد المحاضرة التالية. فما كان منه إلا أن أعلن في نهاية المحاضرة اسمي وعنوان محاضرتي في الموعد التالي، وقد لاقت بالفعل قبولا من الحضور. كان ذلك في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، وكان أول تشجيع لي وأول لقاء بالأب كميل الذي يحبّ مثلي مشاهدة آثار القرى المنسية (المدن الميتة) القريبة من حلب. كنا نترافق أحيانا مع الأب باسكال كستلانا الذي أسميته "راعي القرى الأثرية"، كما تبين صورة

التقطتها لهما في خراب شمس، وكذلك كان في اللقاء الذي كنت أشرح فيه للسفير البابوي والمطران دومينيك بيكي وآخرين أهميّة كنيسة المشبّك (صورتها في الصفحة التالية)، وحيّداً لو توفّر دولة الفاتيكان بعثة تجعل مركزها في المشبّك، تنطلق منها للقيام بترميمات بسيطة قد تحتاج إليها عناصر إحدى كنائس المنطقة المهملة كي لا تتداعى وتنهار، مع استعدادنا للتطوّر مجّاناً مهندسين في ذلك العمل. وهذا أمر يتلقّى الضوء الأخضر من المديرية العامة للأثار والمتاحف في سورية. عرضتُ هذا الأمر على عدد من السفراء البابويين الذين كانوا يقصدون حلب ويشاهدون كنيسة المشبّك وقلعة سمعان طوال أكثر من ثلاثين عاماً، وللأسف من دون جدوى.



الأب كميل حشيمه وسط الصورة قرب كنيسة المشبّك (٢٥ كم غرب حلب) مع السفير البابويّ بدمشق والمطرانين دومينيك بيكي وأنطوان بيلوني والسادة جورج أنطاكي وبولس مكربنة وعبدالله حجار (الصورة من بداية ثمانينيات القرن العشرين).

وحين انتقل الأب حشيمه إلى لبنان تسلّم إدارة "دار المشرق" للنشر في العام ١٩٨٨، كما تسلّم إدارة "مجلة المشرق" العام ١٩٩١، هذه المجلة العريقة التي أسسها الأب لويس شيخو في العام ١٨٩٨ وقام بإصدارها حتى وفاته في العام ١٩٢٧، وتابع إخوة له في الرهبانية إصدارها حتى العام ١٩٧٠، وتوقفت عن الصدور لأسباب قاهرة. وكانت من المراجع الهامة والرصينة في تاريخ سورية ولبنان والوطن العربيّ والوقائع في ما حوته صفحات أعدادها من أبحاث علمية وأدبية واجتماعية واقتصادية وتاريخية وأثرية، فسعى الأب حشيمه في العام ١٩٩١ إلى إعادة إحيائها بعد غياب، وعادت للصدور ضمن مجلدين كلّ عام. وكان لي شرف الكتابة فيها بمراسلته، حيث كان يرحّب بمقالاتي التاريخية والأثرية التي تتكلم على القرى

الأثرية أو كتابات ومؤلفات الباحثين الآباء الفرنسيين كستلانا وبنيا وفرنانديس، وسواهم من الباحثين، في آثار جبال الكتلة الكلسية في شمال سورية، والذين ساروا على منوال الآباء اليسوعيين الأوائل ميشيل جوليان (كتابه سورية وسيناء)، وجوزيف ماترن (كتابه المدن الميثة في سوريا العليا)، وهنري جالابير ورونيه موتيرد (كتابهما الكتابات اليونانية واللاتينية في سورية)، وسواهم في محبة زيارة الآثار المسيحية وكشفها في المنطقة والكتابة عنها. وبقيت مجلة المشرق منبرًا يستقبل، بفضل الأب حشيمه، مقالاتي ويوصلها إلى القارئ اللبناني العربي في العلم والمعرفة، وإلى العالم العربي. وهكذا نُشر لي فيها:

- مقالة عن كتاب الفن المسيحي في سورية البيزنطية للأب إنياس بنيا (عرض وتلخيص) العدد ٧٧، ٢٠٠٣، صفحة ٤٤٩.

- "المنشأة الصحية لدى نساك الأبراج والعموديين السوريين في القرن السادس"، العدد ٨١ ص ٢٤١.

- "مرور ٣٠٠ عام على رسم أيقونة الدينونة العمامة (١٧٠٨ - ٢٠٠٨) في كنيسة الأربعين شهيدًا للأرمن الأرثوذكس بحلب"، العدد ٨٤، ص ١٥٥-١٦٣.

- "لغز ديار مار مارون"، العدد ٨٥، ص ٧١ - ٨٢.

- "قراءة في كتاب رحلة أثرية في سورية ولبنان العام ١٨٨٨ للأبوين ميشيل جوليان وبول سولوران"، مساهمات مشتركة مع ليفون نورديكيان، العدد ٨٦، ٢٠١٢، ص ٢٨٧-٢٩٥.

بالإضافة إلى التعريف بإيجاز بكتبي وكتب أثرية أخرى كانت تُنشر في آخر صفحات أعداد المجلة مع ملخصات الكتب الصادرة.

ترك الأب حشيمه إدارة "مجلة المشرق" في العام ٢٠٠٨ ليتفرغ للكتابة ولكتابه الموسوعي المؤلفون العرب المسيحيون من قبل الإسلام إلى آخر القرن العشرين: معجم الأعلام والآثار والمراجع الذي صدر منه عشرة أجزاء حتى الآن ولم يكتمل بعد. وقد خصني بكتابة ٣٦ سطرًا معرفيًا بي وبنشاطي وبكتبي المتواضعة.

رحم الله فقيدنا الغالي، ويريحنا الشعور بانتقاله إلى حيث لا وجع ولا حزن ولا تنهد، وذكره باقي في الرهبانية اليسوعية ولدى معارفه ومحببيه في سورية ولبنان والعالم، وذكر الصديق يدوم ويدوم.

المرجع: المؤلفون العرب المسيحيون من قبل الإسلام إلى آخر القرن العشرين: معجم الأعلام والآثار والمراجع، الأب كميل حشيمه.